نظرة سريعة

لجهود تاج الشريعة

مهداة إلى أستاذنا الجليل فضيلة الشيخ محمد أختر رضا خان
القادري الأزهري الحنفي
«أمتع الله بعافيته»

بقلم
عبد الجليل العطا
«البكري»

دار النعمان للعلوم

بيانات الطبع

٢

نظرة سريعة

لجهود تاج الشريعة

مهداة إلى أستاذنا الجليل فضيلة الشيخ محمد أختر رضا خان
القادري الأزهري الحنفي
«أمتع الله بعافيته»

بقلم
عبد الجليل العطا
«البكري»

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ وَلَا تَنسَوُاْ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْۚ ﴾

[البقرة: ٢٣٧]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إلى سماحة العلامة المفتي المرشد الجليل تاج الشريعة أستاذنا المربي فضيلة الشيخ محمد أختر خان القادري الأزهري الحنفي.

حفظه الله ورعاه، ومن كلِّ مكروه وقاه، ومن كلِّ سوء حماه، ولكلِّ خير سَمَاه، ولكلِّ مكرمة رقَّاه من ولده المعنوي خادمه الأصغر:

عبد الجليل العطا

(البكري)

الدمشقي الحنفي

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمدُ لله، وسلام على عباده الذين اصطفى.

وبعد؛ فلقد بلغني أمر سماحتكم بالنظر في مجموع الهوامش والتحريرات والتحقيقات التي تفضّلتم بتحقيقها والأمر بتدوينها، ومِن ثم كتابة تقريظ له لتقييمها وبيان الرأي بها!!

وأنى ذلك . . وقد قرأتها للاستفادة والتَّعلُّم؛ مستمتعاً مستفيداً متنوِّرا . . . . . ومع هذا فإنَّ امتثال أمركم الجليل شرف لي وواجب متحتِّم تلبيته على العين والرأس، ثم أمانة في العنق يجب تأديتها، فأقول امتثالا . . وإن لم أكن أهلاً:

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمدُ لله الذي يختصُ برحمته من يشاء، الذي جعل العلماء ورثة الأنبياء، وجعلهم أئمة يهدون بأمره إلى الخير كما قدَّر وشاء.

وصلَّى الله على حبيبه محمَّد أقرب المقرَّبين وأشفع الشفعاء، والمبعوث هداية ورحمة لأهل الأرض والسماء، وعلى آله وأصحابه سرج الهداية ونجوم الاهتداء.

وبعد؛ فإن الأُمَّة تلقَّت قوله ﷺ: «إنَّ الله تعالى يبعث لهذه الأمة على رأس كلِّ مئة سنة مَن يجدِّد لَهَا دينها». بالقبول، ونزَّلوا لكلِّ رأس قرن من أعلام الأمة يجعلوه مجدِّد أمر دينها.

ولكنِّي أرى أنَّ كلمة «مَن» لا تقتصر على الواحد المفرد كما هو مسلَّم به بين أهل العربية!!

ولكن لمَّا كان أمر الأمَّة متشعَّب النواحي... لم يكن ثَمَّة مانع أن يكون التجديد لكلِّ شعبة من تلك النواحي! وما المانع أن يكون أبو بكر مجدِّد الأمَّة بعده ﷺ بيضة الدين،

وعمر مجدِّدها في الفتوحات، وعثمان مجدِّدها في جمع القرآن وغيرهم من الصحب الكرام في العصر الأول!!؟

ثم لمَّا تباعدت الأقاليم واتسعت الأصقاع لم يَعُد بعيداً أن يحتاج كلّ صقع أو إقليم لتجديد في أمر الأمة كما احتاج كلُّ شعب من شعبها لترميم ما يحدثه طول العهد من خلل في بنيانها؟!

وعلى هذا سنجد من العلماء مجدّداً؛ كما سنجد من الخلفاء مجدِّداً، كما سنجد مَن غيرهم من يصلح لهذا اللقب العظيم؛ سواء من الدعاء، أو المصلحين، أو المجاهدين، أو المؤلفين، أو المنفقين!!

وحينئذ سنجد من مجدِّدي أمر هذه الأمة الكريمة في الذود عن حياض عقيدتها وشريعتها ودعوتها الإمام الجليل العلامة الراحل أحمد رضا خان الملقب (إمام أهل السنة) في بلاد الهند.. بما شوهد له من وفير الأصفياء؛ دون تعصب ولا اعتساف.

ثم يتراءى لك ملامح الموسوعية كالسيوطي، والتوضيح لدى ابن حجر، والفتح عن ابن الهمام، والتخصص عن

الذّهبي، إلى عمدة العيني وفتوح الرازي، ثمَّ تجد نفسك أمام عباب الصاغاني.

وهو في كلِّ ذلك ينشد الحقيقة لمجرَّد أنَّها الحقيقة؛ لا لتأييد مذهبه، ولا ليتعالى بالوقوف عليها؛ أو بظهورها على يديه.

وقد وفَّقه الله ـ على توفيقه ـ فقام بتعريب كتب جدِّه الإمام الكبير، فأفاض عليها ملامح التجديد ومعالم التكميل، ومجالي التذييل إتماماً لفوائدها، وتكميلاً لتناولها، وتسهيلاً لتداولها، واستكمالاً لفضائلها، ينهل منها فيسيغها، ثمَّ يعيدها أبينَ وأسهل، وأضبطَ وأشمل، فهو في ذلك كالنحل يجتذب رحيقاً ليدفعه شهداً.

وحقّاً فإنَّ تاج الشريعة اليوم باب ومغلاق ومفتاح علوم جدِّه؛ لا يتأتَّى نشر كتب هذا الإمام الجد.. إلاَّ من مدرَّج هذا السبط الحفيد.

ثمَّ يجب أن نعلم أنَّ تاج الشريعة طويل النَّفس جدّاً في إشباع المسائل وتحريرها.. بما لا يدع استدراكاً كالراغب، ولا استزادة لطالب، ولو احتاج أن يجعل لكلِّ بحث رسالةً

مستقلة، ولكن يجعلها في موضعها حاشية عل تصنيف جدِّه ليحافظ على الركون تصنيف، وكبير أثر، وعظيم همَّة ونشاط وعميق غَيرة وحرقته على شريعة الله المختارة للكمال، كما هو مسلَّم به لدى أهل النظر والنَّصف بأدنى تأمُّل، وأسرع بصيرة.

ثم جاء سبطه وحفيده تاج الشريعة ليكون كما اختاره المولى سبحانه.. مجدِّداً للمجدِّد في نشر أخباره، والتنقيب عن آثاره، وإظهار علومه وأسراره أمتع الله بحياته، وبارك في عافيته وأمدَّ في عمره ونسأ في أجله ليتمَّ له أمله ويعمَّ به فضله ويدوم معه نفعه.

هذا؛ وقد اطّلعت على مجموعة من البحوث والتحقيقات الرائعة الماتعة التي جادت بها قريحة شيخنا الجليل محمد أختر تاج الشريعة راعي العلم في مدينته (بريلي) وما حولها من الديار الهندية، ومفتاح كنوز جدِّه أسرارها الإمام أحمد رضا وسرَّحت النظر في خفاياها وأنعمت الفكر في خباياها.. فوجدت تحقيقاتٍ رائعةً بديعة محكمة بتمكُّن فريد، ورأيت تتبُّعاً مذهلاً للنصوص،

وتحريراً دقيقاً لمواطن الخلاف، واستقصاء لجوانب ما يبحث. . مع التزام علميٍّ رصين لصياغة متينة وإنصاف في العرض، وغور إلى العمق، ومعالجة في الصميم، يذكِّرك حالُه بحال علِيَّة القوم المصنّفين الفضلاء، والمحقِّقين إلى ظِلِّه المديد وكأنَّه أراد أن يجعل من سحاب جدِّه ومُزنه العلميِّ مِظلَّة يحتمي بها. . . وهو تاجٌ للشريعة بين أبناء عصره، فيعتزَّ بالانتساب إليه، ويحافظ على خلافته عنه ﷺ، ولي في ذلك أرشدك (أيّها الواقف على شأن هذا الحَبر الجليل) إلى أمثلة متوافرةٍ ميسورٌ الوقوف عليها:

من ذلك في الأبحاث الحديثية:

● بحثُه الرائع الماتع الحديثي الذي ينُمُّ عن تحقيق علمي رصين في حديث «أصحابي كالنجوم» يصلح أن يفرد برسالة.

● بحث في التراجم جديرٌ أن يكون رسالةً مفردة كشفت الجوانب كلَّها ممَّا ينبغي سلوك أهل الجرح والتعديل مسلَكَه. في مثل تحقيق ترجمة إسماعيل بن عيّاش رحمه الله تعالى.

● تعليقه على حديث «الوقت ما بين هذين» وهو حديث جبريل في أوقات الصلاة، وقد كتبه على هامش كتاب جدِّه «حاجز البحرين الواقي من جمع الصلاتين» مع تعليقات أخرى مماثلة، وهذا شغل ما بين صحيفة ١٣٥ إلى ١٤٧ ثمَّ أتبعه تكميلاً من صحيفة ١٦١ إلى ١٦٧ .

● تعقُّبه اللطيف الدقيق الضروريُّ على الإمام ابن حجر في شرح الحديث القدسي «إني حرَّمت الظلم على نفسي» ممَّا يدلُّ على يقظة وتنبه . . إلى غيرٍ شرعية، حميدة وحصافة دينية حصينة .

● دراسة حديث توقيت المسح على الخُفَّين وإشباع البحث بما لا مزيد عليه، وقد شغل أزيد من عشر صفحات أبرز فيها مكنة مميزة .

● تحقيق عموم الرسالة النبوية الشريفة إلى سائر الخلق، واطلاعه ﷺ على المغيَّبات وذلك في هوامشه على كتاب «الأمن والعلا» لجدِّه رحمه الله تعالى في الصفحات: ٣٥ إلى ٣٩، ومن الصفحة: ١٦٦ وحتى ١٦٨ .

● وفي الكلام عن المتشابهات . . أترُك التأمُّل في

تعليقاته البديعة على هامش «قوارع القهار» ليظهر جلاءُ ما ألمحنا إليه في الصفحات ما بين: ٢٧ وحتى ٣٧، إضافة إلى الكلام عن حديث الجارية من صفحة ٨٧ وحتى صفحة ٩٤. ومع أنَّه بحث شائك ولكنَّ عرضَه كان شائقاً.

● وفي الأبحاث الفقهية حسبُك أن تلقيَ نظرة عابرة على إبداعه في الرائعة الفاذَّة التي أسماها جدّه الإمام أحمد رضا «النهي الأكيد عن الصلاة وراء عدي التقليد». فاستمتع بما شئت دون تردّد.

● وعلى ملامح حطِّ الرحال من الختام نقول: لك أن ترفع الرأس عالياً، وتشمخ بزهوٍّ بما تلمَسُ من تحقيق علميٍّ وتفاعل روحي مشرِّف في مبحثيه التاليين:

أ ـ «نهاية الزين في التخفيف عن أبي لهب ليلة الاثنين» حيث أفاض على البَحث ذُنُوب الاستيعاب والإنصاف و«محق القول بحجَّة أباطيل الاعتساف».

ب ـ أما أمثلة ما قدّمه من ضرورة الاستكمال بعد الإرسال؛ فحسبك أن تجعل بين عينيك «تحقيق أنَّ أبا سيدنا إبراهيم (تارح)؛ لا (آزر) فقد أكمل برسالته هذه وأتمَّ، ما

بدأه جدُّه الإمام أحمد واهتمّ، وأسماه «شمول الإسلام لأصول الرسول الكرام»، وقد علّق عليه قبل إكماله بتحقيق رائع في صفحة ٣٠ ـ صفحة ٣٣ أروى فيه حتى الثُّمَالة، وملأه حتَّى الدِّهاق.

نعم؛ إذا كان هذا بعض ما يلاحظه المطالع والقارئ والباحث العربيُّ في نظرة سريعة.. فإنَّ غير العربيُّ سيجد في كتب الشيخ ورسائله وأبحاثه في الأوردية والفارسية أضعاف ذلك... قبل أن يقف على شعره النورانيِّ في المدح النبوي، سواء في العربية، أو الأوردية، فضلاً عن التصانيف المفردة مثل:

١ ـ «الدفاع عن كنز الإيمان»، و٢ ـ «حكم التصوير»، و٣ ـ «الحق المبين» و٤ ـ «عمليات التصوير الرائي» «التلفزيون والفيديو» ثمَّ هذا كلّه غير ما تناوله من الإملاء والإفتاء والتعليم بالإنكليزية التي له بها مَلَكة وإلمام.

ثم إنَّ رعاية جامعة الرِّضا بعبئها العلميِّ والتربويِّ والتعليميِّ والسلوكيِّ ـ كما تعرَّفنا عليها من قرب ـ شيءٌ أخّاذ.

فتعليم وتسليك الطلبة والأساتيذ ورعايتهم، والسهر على مصالحهم وتوجيههم؛ كالأب الحاني العطوف على أبنائه البررة المكرمين لا يدرك شأوه وقدره. . إلا من عاناه وعايشه، وبصدق مارسه.

أما تربية العامة وتسليكهم في الطريقة ثم نقلهم إلى محبين صادقين، وتحويلهم إلى عباد عابدين، وأصفياء صافين. . فدونهم خرطُ القتاد.

وبهذا كله أدى الشيخ حفظه الله وقواه، جليل أمانته، بوافر حكمته ودؤوب نشاطه.

وختاماً؛ فإنَّ شيخنا المربِّي المرشد تاج الشريعة محطّ أمل أحباب الإمام أحمد رضا؛ وعشَّاق الشريعة المطهَّرة، والباحثين عن تجديد التصانيف الشرعية من آثار جدّه الفياضة، ورياضه النّضرة، ومناهله الثّرَّة ليكون مستخرِج دفائنها، وناشر فضائلها، وساقيَ ظامئيها، وراغم جاحديها، وقاهر حاسديها، ثمَّ مميط اللثام عن تنضيد فرائدها وفوائدها.

وفّقه الله وإيانا لكلِّ هدى، وأجرى على يديه، وأيدي

أحبابه ما يوصله لكلِّ خير، وأمتع بحياته وعافيته المسلمين.

وصلّى الله على سيّدنا ومولانا محمّد، وعلى آله وصحبه، والسالكين على دربه، والدائبين على نهجه، وسلّم تسليماً كثيراً.

دمشق ـ الجمعة ـ غرة صفر الخير / ١٤٣٤هـ

١٤ كانون الأول (ديسمبر) / ٢٠١٢م

عبد الجليل العطا

(البكري)

خطيب جامع المحدِّث الأكبر بدر الدين الحسني

إمام جامع الصحابيِّ الجليل عقبة بن عامر

أمين فتوى مجمّع الأقصاب الإسلامي

مدير عام دار النعمان للعلوم